أبو العلاء المعريّ والخليل بن أحمد

Abū al-‘Alā’ al-Ma‘arrī et al-Ḥalīl b. Aḥmad

Abū al-‘Alā’ al-Ma‘arrī and al-Ḥalīl b. Aḥmad

أبو العلاء المعريّ والخليل بن أحمد

الدكتور يوسف بكار

Édition électronique

URL : <http://journals.openedition.org/beo/224>

DOI : 10.4000/beo.224

ISBN : 978-2-35159-318-9

ISSN : 2077-4079

Éditeur

Presses de l'Institut français du Proche-Orient

Édition imprimée

Date de publication : 1 octobre 2010

Pagination : 13-23

ISBN : 978-2-35159-170-3

ISSN : 0253-1623

Référence électronique

« أبو العلاء المعريّ والخليل بن أحمد », *Bulletin d'études orientales* [En ligne], Tome LIX | octobre 2010, mis en ligne le 01 octobre 2011, consulté le 31 janvier 2020. URL : <http://journals.openedition.org/beo/224> ; DOI : 10.4000/beo.224

المصادر

- ابن خلكان، ١٩٧٨، وفيات الأعيان : تخ إحصان عباس، بيروت، دار صادر.
- ابن رشيق القيرواني، ١٩٧٢ (ط ٤)، كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه : تخ محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل.
- ابن عبد ربّه، بدون تاريخ، العقد الفريد : تخ أحمد أمين وزملائه، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- أبو الطيب اللغوي، بدون تاريخ، مراتب النحويين : تخ محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار نهضة مصر.
- الأخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعدة، ١٩٧٠، كتاب القوافي : تخ عزّة حسن، دمشق، وزارة الثقافة.
- الأخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعدة، ١٩٨٥، كتاب العروض : تخ أحمد عبد الدايم، مكة المكرمة، دار الفيصلية.
- الأخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعدة، ١٩٩٨، كتاب العروض : تخ سيد البحراوي، القاهرة، دار الشوقيات.
- التبريزي، الخطيب، ١٩٩٦ الكافي في العروض والقوافي : تخ حسن عبد الله الحساني، مجلة معهد المخطوطات العربية ١٢ / ١.
- ديوان عبد الله بن رواحة، ١٩٨٨ (ط ٢)، تخ وليد قصّاب، عمان، دار الضياء.
- ديوان قيس بن الخطيم، ١٩٦٧ (ط ٢)، ح ناصر الدين الأسد، بيروت، دار صادر.
- شروح سقط الزند للتبريزي والبطلاني والخوازمي، ١٩٦٤، تخ مصطفى السقا وزملائه، إشراف طه حسين، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر.
- العلمي، محمد، ١٩٨٣، العروض والقافية (دراسة في التأسيس والاستدارك) : الدار البيضاء، دار الثقافة.
- المعري، أبو العلاء، ١٩٨٤ (ط ٢)، رسالة الصاهل والشاحج : تخ بنت الشاطئ، دار المعارف القاهرة.
- المعري، أبو العلاء، بدون تاريخ، عبث الوليد : تخ ناديا علي الدولة، الشركة المتحدة للتوزيع.
- المعري، أبو العلاء، ١٩٦٣، رسالة الغفران : تخ بنت الشاطئ، القاهرة، دار المعارف.
- المعري، أبو العلاء، ١٩٧٩ (ط ٣)، رسالة الملائكة : تخ لجنة من العلماء، بيروت، دار الآفاق الجديدة.
- المعري، أبو العلاء، ١٩٦٥، تعريف القدماء بأبي العلاء، تخ مصطفى السقا وزملائه، إشراف طه حسين، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر.
- المعري، أبو العلاء، ١٩٧٧، الفصول والغايات : تخ محمود حسن زناتي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ياقوت الحموي، بدون تاريخ، معجم الأدباء : بيروت، دار إحياء التراث العربي.

وهو يعدّد أنواع السّناد أن سناد التوجيه هو أن يكون قبل حرف الرويّ المقيد فتحة مع ضمة أو كسرة. فإن كانت الضمة مع الكسرة لم يكن ذلك عيباً^{٦١} وإن جاءت الفتحة مع إحداهما فهو سناد عند الخليل، أمّا الأخفش فلم يكن يراه سناداً لكثرتة في أشعار العرب^{٦٢}. من هذا قول امرئ القيس:

إِذَا رَكِبُوا الْخَيْلَ وَاسْتَلَمُوا تَحَرَّقَتِ الْأَرْضُ وَالْيَوْمُ قُرُ^{٦٣}
فَلَا وَأَبِيكَ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ لَا يَدَّعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفْرِ^{٦٤}

ويؤكد التبريزي تفرد الخليل بتعريف القافية، وهو الجيد المعروف^{٦٥}، وأنه هو الذي لقب القوافي بالمتكاوس والمتراكب والمتدارك والمتواتر والمترادف^{٦٦}، ثم يقول: "وقد قال بذلك غيره، ويجب أن يكون هو الذي ابتدأ به"^{٦٧}.

وفي شرح التبريزي لبیت أبي العلاء في بعض عيوب القافية^{٦٨}:

بُنِيَتْ عَلَى الْإِيطَاءِ سَالِمَةٌ مِنْ الِ إِقْوَاءِ وَالْإِكْفَاءِ وَالْإِصْرَافِ

يعرّف الإصراف أنه "إقواء يكون ببيت منصوب في شعر مخفوض (مجرور) أو مرفوع، كقول الشاعر:

أَطْعَمْتُ جَابَانَ حَتَّى اشْتَدَّ مَغْرُضُهُ وَكَادَ يَنْقَدُّ لَوْلَا أَنَّهُ أَطَافَا^{٦٩}
فَقُلْ لِّجَابَانَ يَتَرَكُنَا لَطِيئَتَهُ نَوْمُ الضُّحَى بَعْدَ نَوْمِ اللَّيْلِ إِسْرَافُ

ويذكر أن المفضل الضبي هو الذي ذكره^{٧٠}، ثم يقول مرة "والخليل وأصحابه لا يجيزون الإقواء بالنّصب"، ويقول مرة أخرى "ولم يعرفه الخليل وأصحابه!"

٦١. التبريزي، الكافي العروض والقوافي، ص. ١٥٩. «اجتماع الضمة مع الكسرة... أحسن من مجاورة الفتحة لواحدة منهما»

٦٢. التبريزي، م. ن، ص. ٣١ و ٣٨.

٦٣. استلام: لبس الأمة، وهي الدرع. قر: برد، والبرد في الشتاء والصيف يقال هذا يوم ذو قر (اللسان - قرر)

٦٤. ابنة العامري: هي هر ابنة سلامة بن علند التي كان يتغزل بها الشاعر أيام نفاه أبوه.

٦٥. التبريزي، الكافي العروض والقوافي، ص. ١٤٩.

٦٦. الأخفش، كتاب القوافي، ص. ٨-٩. وابن رشيق، كتاب العمدة، ١، ص. ١٧٢.

٦٧. شروح سقّط الزند، ٢، ص. ٨٠٩، والتبريزي، الكافي في العروض والقوافي، ص. ١٤٧-١٤٨.

٦٨. شروح سقّط الزند، ٣، ص. ١٢٨٢-١٢٨٣.

٦٩. المغرض: أسفل البطن. طاف: ذهب لقضاء حاجته.

٧٠. التبريزي، الكافي في العروض والقوافي، ص. ١٦١.

والأغرب المخالف لما ذكر أبي العلاء أنه قال " والخليل يسمي هذا الإقعاد، ويسمي الجزء الذي يعرض فيه مثل هذا المقعد " .

٤-٢: وفي القافية، يدلّ أبو العلاء على أن الخليل لم يذكر الإشباع (حركة ما قبل الروي المطلق)، وأن الأخفش هو الذي ذكره^{٥٣}. هذا صحيح، فقد ذكر الأخفش جميع ما ذكر الخليل من اللوازم في القوافي من الحروف والحركات^{٥٤} التي لم يكن الإشباع فيها؛ والأخفش هو الذي ذكره^{٥٥}، بيد أن ابن رشيق يقول^{٥٦} عن حركة الدخيل (الحرف الذي قبل الروي) : "سمي الإشباع ويجوز تغييرها عند الخليل، ولا يجوز عند أبي الحسن الأخفش .

— ٥ —

ويمد الخطيب التبريزي أبو زكريا يحيى بن علي تلميذ أبي العلاء^{٥٧}، وأحد شراح سقط الزند أيضاً بمعلومات غروضية أخرى من أستاذه بشأن الخليل . وقد التزم، وهو الذي قرأ على أستاذه ديوانه هذا، بأن يضمّن شرحه ما ورد في ضوء السقط شرح المعري نفسه لما شرح من ديوانه^{٥٨} الذي أملاه على تلميذه أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الأصبهاني، وإن كان المعري صنعه بعد مفارقة التبريزي له . أمّا التبريزي نفسه فعمل شرحه بعد وفاة أستاذه الذي يتجلّى تأثيره فيه لا سيما في كتابه الكافي في العروض والقوافي كما تقدّم وفي هذا البند أيضاً . ولا يخلو شرحا البطلينوسي وأبي الفضل الخوارزمي (٦١٧ / ؟) ممّا في شرح المعري كذلك^{٥٩} . يدلّ التبريزي في شرحه بيت أبي العلاء^{٦٠} :

بُناة الشعر ما أكفوا رويّاً ولا عرّفوا الإجازة والسّنادا

٥٣ . المعري، الفصول والغايات، ص ٥٢ .

٥٤ . الأخفش، كتاب القوافي، ص ٣٤ . ما ذكره الخليل هو الرس والحذو والتوجيه والمجرّد والنفاذ (كتاب القوافي ص ٣٠ - ٣٤) . وانظر العقد الفريد، ٥، ص ٤٩٧-٤٩٨، فهي معرفة ثمة .

٥٥ . الأخفش، كتاب القوافي، ص ٣٤ .

٥٦ . ابن رشيق، كتاب العمدة، ١، ص ١٦١ .

٥٧ . السمعي، الأنساب، في المعري، تعريف القدماء بأبي العلاء، ص ١٣، وابن الأنباري، نزهة الألباء، في المعري، تعريف القدماء بأبي العلاء، ص ١٧ .

٥٨ . ابن الوردي، تنمة المختصر في أخبار البشر، في المعري، تعريف القدماء بأبي العلاء، ص ٢٠٦ . وابن العديم، الإنصاف والتجري، في المعري، تعريف القدماء بأبي العلاء، ص ٥٣٥ .

٥٩ . شروح سقط الزند، ١ / ج-هـ، تقديم لجنة إحياء آثار أبي العلاء .

٦٠ . شروح سقط الزند، ٢، ص ٥٨١-٥٨٢ .

لأَصْرِفَنَّ لِسَوَى حُذِيفَةَ مِدْحَتِي لَفَتَى الْكَثِيبَ وَفَارَسَ الْأَجْرَافَ

الذي دخله الوقص في تفعيلته الأولى فقط .
ونفذ أبو العلاء من كلامه على زحاف "الخَبْن" (حذف الثاني الساكن) في التفعيلة الثالثة من الشطر الأول من بيت الأعشى (من البسيط) ^{٤٧}:

عُلِّقَتْهَا عَرَضاً وَعُلِّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلَ

نفذ إلى القول "ولو أصابه الطي" (حذف الرابع الساكن) كان أشنع، وهو كالمفقود في شعر العرب. فإن أصابه "الخَبْل" ^{٤٨} فهو أشنع وذلك كالمفقود في شعر العرب أيضاً، على أن الخليل قد أجازته في الأجزاء السباعية (التفعيلة السباعية) كلها من هذا الجنس .
ويذكر المعري أن بيت الربيع بن زياد:

أَبْعَدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زَهْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ؟

تسميه العرب "المُقْعَد" وقد ذكره الأخفش ^{٤٩} ولم يذكره الخليل. ويقابل عندهما "القطع"، وهو حذف آخر الوجد المجموع (علن) أي النون، وتسكين ما قبله وهو اللام ^{٥٠}. أما التبريزي فاكتفى بأن قال في تعليقه على البيت نفسه: "ومن المقعد أن ينقص حرف بعد (الفاصلة) من العروض" ^{٥١}.
الغريب أن ابن السيد البطليوسي (١١٢٧/٥٢١) أحد شراح سَقَطَ الزُّنْدَ عرض لهذا، وهو يتحدث عن الإقواء ويشرح بيت المعري: ^{٥٢}

وَقَدْ يُقْوِي الْفَصِيحُ فَلَا تُقَابِلُ ضَعِيفَ الْبِرِّ إِلَّا بِالْقَبُولِ

فقال، بعد أن ذكر معنى الإقواء المعروف: "ومنهم من يرى أن الإقواء أن يُنتقص من عروض البيت قوة، فيكون (كذا) العروض في الكامل (مفعولن = مُتَفَاعِلُنْ)، ويكون الضرب متفاعِلُنْ فيزيد الضرب على العروض زيادةً قبيحةً. فيقال أقوى في العروض أي أذهب قوتها". واستشهد ببيت الربيع نفسه في حين أن مقالته لا تنطبق عليه، لأن عروض البيت مُتَفَاعِلُ أي دخلها القطع وضربه مُتَفَاعِلُ الذي دخله الخبن والقطع معاً.

٤٧. المعري، الفصول والغايات، ص. ١٩٠-١٩١.

٤٨. الخَبْل بسكون الباء: كسر اليد أو الرجل (اللسان-خيل). والخَبْل غَرَضِيًّا: خَبْنٌ وَطِيٌّ.

٤٩. لم أجد في كتاب القوافي للأخفش.

٥٠. المعري، الفصول والغايات، ص. ١٧٩.

٥١. التبريزي، الكافي في العروض والقوافي، ص. ١٦٩.

٥٢. شروح سَقَطَ الزُّنْدَ، ٣، ص. ١١٤٦-١١٤٧.

ويرى أبو العلاء في كلامه على علة "التسبيغ" (فاعلاتان) أن بيت الشاهد فيه (من مجزوء الرمل) ^{٤٢}:

يا خليلي أربعا واسد تخبرا ربعا بعسفان

من «وضع الخليل» كذلك، لأن هذا الوزن لم تستعمله العرب، وأنه ليس كغيره من الأوزان القصار التي استعملها المحدثون لأنه مفقود في شعرهم. وأخذ على الخليل في بحر الكامل أنه وضع لما دخله «الجزل» أو «الخزل» — كما روي عن الزجاج — بيتاً مصنوعاً جاءت تفعيلاته الست «مجزولة» هو ^{٤٣}:

منزلة صم صداها وعفت خالية إن سئلت لم تجب

والجزل أو الخزل ^{٤٤}، زحاف يدخل على تفعيلة مُتفاعِلُن (بسكون التاء) المزاحفة عن مُتفاعِلُن (بفتح التاء)، فيحذف رابعها (أي الالف) فتغدو مُتفاعِلُن (—UU—) مثل "مُسْتَعِلُن" المطوية عن مُسْتَفْعِلُن. في حين أن "الجزل" في شعر العرب لم يُعرف إلا لجزء مفرد (تفعيلة واحدة) في بيتي تأبط شراً:

يا نار شبت فارتفعت لضوئها بالجزع من أفياد أو من موعل
حيث التقت فهم وبكر كلها والدم يجري بينهم كالجداول

حيث دخل "الجزل" في التفعيلة الأولى من شطر البيت الآخر فقط. وأخذ على الخليل في البحر نفسه أنه وضع بيتاً مصنوعاً لزحاف "الوقص" في تفعيلاته الست جميعاً. والوقص ^{٤٥} هو حذف الثاني المتحرك (أي التاء) من مُتفاعِلُن فتصبح مُفاعِلُن، البيت هو:

يذب عن حريمه بنبله وسيفه ورمحه ويحتمى

في حين أن ما جاء منه عن العرب كان في جزء واحد (تفعيلة واحدة) في البيت؛ فإن زاد ففي اثنين فقط. ومنه قول قيس بن الخطيم ^{٤٦}:

٤٢. المعري، الفصول والغايات، ص. ١٨٣. ولم أجد البيت والبيت المصنوع الآتي في مجموعي شعر الخليل.

٤٣. المعري، الفصول والغايات، ص. ٣٨٤.

٤٤. الجزل لغة من جزلت البعير إذا خرجت فقارة من ظهره.

٤٥. الوقص لغة كسر العنق. وقص عنقه يقصها وقصاً: كسرها ودقها (اللسان - وقص).

٤٦. البيت في الديوان: أَصْرَفَن سَوَى حُدَيْفَةَ مَدْحَتِي لَفَتِي الْعَشِيَّ وَفَارَسَ الْأَجْرَافَ.

وهو في هذه الحال، لا وقص فيه، بل دخله القطع في الضرب. وقد فسرت "سوى" فيه "قصدت سوى فلان، أي قصدت قصده". مهما يكن فإن المعنى لا يستقيم ما دامت القصيدة في مدح خداس بن زهير وذم حذيفة بن بدر الفزاري الذي استنجد به الشاعر للأخذ بثأر جده فلم ينجده، فقصد خداساً الذي لبى طلبته (راجع ديوان قيس بن الخطيم، ص. ١٨٩-١٩١).

ويرى أن الثلاثة الأوزان : المضارع والمقتضب والمجتث قلّما توجد في أشعار المتقدمين^{٣٥}.
فأما المضارع فالبيت الذي وضعه له الخليل :

وإن تدنّ منه شبراً يقربك منه باعاً

وهو مفقود في شعر العرب، وهو عروض قول أبي العتاهية :

أيا عتبَ ما يضُرُّك أن تطلقني صفادي^{٣٦}

وأما المقتضب فالبيت الذي وضعه الخليل فيه :

أعرضت فلاح لنا عارضان من برَد

مفقود في شعر العرب، وزعم الأخفش أن جارية قالت :

هل علي ويحكما إن لهوت من حرج؟

وقد فهم أحد الدارسين، مما فهم، من أقوال المعري وآرائه تلك " أن الخليل واضع بيت المضارع والمقتضب " وإن ليس " هنالك ما يجزم بذلك خصوصاً أن أبا العلاء هو وحده من قال بذلك^{٣٧} ".
ربما كان قصد أبي العلاء أن الخليل " وضع " كلا البيتين شاهداً أو مثلاً للمضارع والمقتضب ليس غير، وإن ترد " وضعه " عنده أحياناً بمعنى " أوجده " كما في قوله " والطّي - زحاف الطّي - الذي وضعه الخليل^{٣٨} " و " الخبل الذي وضعه الخليل^{٣٩} ". فهو ينصّ في صراحة - كما هو آتٍ بعد قليل - على أبيات " مصنوعة " من " وضع " الخليل لبعض العلل والزحافات.
أما بين " وإن تدنّ .. " فهو ليس بيتاً مفرداً، بل واحد من " مقطوعة " تعدّ خمسة أبيات^{٤٠} وهي والبيت " أعرضت فلاح .. " ليسا في مجموعي شعر الخليل اللذين أشرتُ إليهما. سواء ما ثبت له أم نُسب إليه .

وقد ذكر التبريزي تلميذ المعري كلّ ما سلف^{٤١} دون أن يشير إلى جملة أستاذه " وضعه الخليل " بل اكتفى في المضارع بأن قال : " ولم يُسمع المضارع من العرب، ولم يجئ فيه شعر معروف . وقد قال الخليل : وأجازوه " وفي المقتضب، وهو يعلّق على بيت " هل علي .. " : " ولم يُعرف غيره شيء من المقتضب على زعمه (أي الخليل) " .

٣٥ . المعري، الفصول والغايات، ص. ١٧٥-١٧٦، وانظر في المقتضب أيضاً ص. ١١٩ .

٣٦ . الصفاد جمع صفد وهو القيد .

٣٧ . العلمي، العروض والقافية، ص. ١٠١ .

٣٨ . المعري، رسالة الصاهل والشاحج، ص. ٥٨٠ .

٣٩ . المعري، رسالة الصاهل والشاحج، ص. ٥٨١ .

٤٠ . ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ٥، ص. ٤٧٢ .

٤١ . التبريزي، الكافي في العروض والقوافي، ص. ١١٧-١٢١ .

وكذا في أبيات أخرى قال إنها " رجز عند العرب، وإن زعم الخليل أن بعضها من السريع^{٢٨} ".
والأبيات هي^{٢٩}:

(١) قول الراجز:

فَغَنَّا هِيَ لَكَ الْفِدَاءُ إِنَّ غِنَاءَ الْإِبِلِ الْهُدَاءُ

(٢) قول ذي البجادين^{٣٠}، وقد حدا بالنبي:

تَعَرَّضِي مَدَارِجاً وَسُومِي تَعَرَّضَ الْجُزَاءِ لِلنَّجُومِ^{٣١}

هذا أبو القاسم فاستقيمي

(٣) قول ابن الأكو^{٣٢}، الذي أمره الرسول أن يحدو به في بعض الغزوات:

مَا هَمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلِّينَا
فَأَنْزَلْنِ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنَّ لَاقِينَا

(٤) حداء عبد الله بن رواحة في أثناء توجهه إلى مؤتة:

يَا زَيْدُ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ الذُّبُلُ تَتَطَاوَلُ اللَّيْلُ عَلَيْكَ فَانْزِلِ^{٣٣}

يبدو أن حجة أبي الغلاء في هذا " وهل تُحْدِي أَنْتَ وَرَهْطُكَ إِلَّا بِالرَّجْزِ مِنَ الشَّعْرِ؟ " وقد فُسر بأنه أخذ على الخليل مخالفته للعرب (القدماء) إذ جعل ما تعدم من الرجز منسرحاً أو سريعاً، مما يشي أنه لم يتابعهم في مفهومهم للرجز، إذ كانوا يربطونه بالحداء الذي كان عندهم مفهوماً وظيفياً وليس نوعياً ولم يقصدوا به ما هو عند الخليل^{٣٤}.

٢٨. المعري، رسالة الصاهل والشاحج، ص. ٣٨٦.

٢٩. المعري، رسالة الصاهل والشاحج، ص. ٣٨٤-٣٨٥.

٣٠. البجاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب. وذو البجادين: عبد الله بن نهم المزني، سمي بهذا، لأن قومه أخذوا ثيابه إلا بجاداً غليظاً خشناً ليحولوا دون خروجه إلى النبي، فهرب منهم وشق بجاده إلى اثنين؛ وقيل إن أمه هي التي شقته له، وقدم على الرسول واستشهد في تبوك.

٣١. المدارج: جمع مدرجة، وهي الثنايا الغلاظ بين الجبال التي يدرج فيها أي يمشي (اللسان - درج. حيث الأبيات أيضاً) السوم: سرعة المَر. سامت الناقة تسوم سوماً (اللسان - سوم. حيث الشطران الأولان. والشاعر يخاطب ناقة الرسول الأكرم).

٣٢. ابن الأكو: عامر بن عمرو الأسلمي الصحابي. استشهد في خيبر، وكان خرج إليها يرجز بالرسول وأصحابه بهذا الرجز.

٣٣. زي: هو زيد بن الأرقم. اليعملات: مفردها يعملة، وهي الناقة السريعة. الذبل: النوق الضامرة التي أضعفها السير، فقل لحمها، مفردها ذابل. وأضيف زيد إلى اليعملات لأنه يحدو بهان وهو قادر على ضبطها. انزل: أي انزل، فسق بالقوم، وأحد بالإبل لتنشط فقد أصابها الكلال (انظر ديوان عبد الله بن رواحة، ص. ١٥٢).

٣٤. العلمي، العروض والقافية، ص. ٩٦-٩٨، و ٣٣-٣٤.

الرّمح والمديد الرّمح إذا مُدَّ إليهم، والخفيف السيف، والمقبوض الذي قبضتِ الكفّ على قائمة^{٢٢} والوافر والكامل وصف للجيش بالوفارة والكمال، والبسيط المبسوط للضرب، والهزج هزج السيوف في الضرب، والرّجز ارتجاز القوم في الحرب، والرّمّل الرّمْل من السير، والمضارع له ما قاربه من السير، والسريع الرجل الذي يسرع في الهرب، والمنسرح الذي ينسرح في السير ويمتدّ، والمجتثّ الذي قد اجتثّ أصله وقُطِع، والمقتضب الذي اقتضب من أصحابه، والمتقارب الخطو المتقارب من الفرع أو الرجل الذي تقارب خلقه أي انضمّ وتضاءل من الخوف، والخليل الفقير، والعروض الناقة التي لم تكمل رياضتها، والمقيّد رجل قُيّد، والمطلق من يطلق من الإِسار". ولم يكتفِ بهذا، إنما راح يلغز بالزحافات والعلل وحروف القوافي وعيوبها كافة، تلغيزات شديدة يبيّن المقصود بها، ثمّ يفصّل الشرح في معانيها العروضية الإصطلاحية^{٢٣}. وكذا بالنسبة للأوزان وعدد حروفها وتقسيماتها من مجزوء ومشطور ومنهوك^{٢٤}.

—٤—

أمّا فنيّات علميّ العروض والقافية وتقنياتها فللمعري، الذي يبدو أنه كان على صلة بكتاب العروض للخليل مثلما هو الشأن بكتاب تلميذه سيبويه **الكتاب** الذي شرحه في **شرح سيبويه** ولم يتمّه، وألّف فيه **تفسير أمثلة سيبويه وغريبها**^{٢٥}، له عدد من الآراء والملاحظات والتنبيهات والاستدراكات والانتقادات.

٤-١ : ففي الأوزان يرى أن قول الشاعر (رجل من ربيعة) ^{٢٦}:

لَأُنْكَحَنَّ بَبَّهَ جَارِيَةً فِي قُبَّهَ^{٢٧}
تَمَشُّطَ رَأْسٍ لُعْبَهَ

رجز عند العرب خلافاً للخليل الذي جعله من المنسرح المنهوك.

٢٢. يقول: «وأوهمت أنني أريد المقبوض الأجزاء... وليس في الخفيف من الأوزان قبض (حذف الخامس الساكن) فذلك تقوية للإلغاز» (ص. ٥٤٨).

٢٣. المعري، رسالة الصاهل والشاحج، ص. ٥٣٣-٥٣٩، ٥٧٨-٦٠٠.

٢٤. المعري، رسالة الصاهل والشاحج، ص. ٦٨٣-٦٨٩، ٦٩١-٦٩٥.

٢٥. ياقوت، معجم الأدباء، ٣ ص. ١٦٠، وابن العديم، الإنصاف والتحرّي في المعري، تعريف القدماء بأبي العلاء، ص. ٥٤٠.

٢٦. المعري، رسالة الصاهل والشاحج، ص. ٦١٢، وثمة رواية أخرى (مع شيء من الاختلاف) تذهب إلى أن الأبيات قالتها أم به وهي ترقّصه.

٢٧. بَبَّهَ: عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب.

في ثنايا **الفصول والغايات** لا سيّما إذا عرفنا أن الغايات تعني القوافي فالقافية هي غاية البيت ومنتهاه^{١١}، ورسالة **الصاهل والشاحج**؛ أمّا ما لم يصل، فثمة من يذكر له كتاب **جامع الأوزان**، الذي يذكر القفطي أنه رآه^{١٢}، أو **جامع الأوزان والقوافي**^{١٣}، الذي فيه شعر على معنى اللغز يعمّ به الأوزان الخمسة عشر التي ذكرها الخليل بجميع ضروبها، ويذكر قوافي كل ضرب. وثمة من يذكر كتاب **مثقال النظم**^{١٤} في العروض وكتاب **مجد الأنصار**^{١٥} في القوافي. ناهيك بما يقال عن مؤلفات أخرى له في العروض والشعر بدأها ولم يتمّها^{١٦}. ولا يخلو بعض الدواوين التي شرحها من إشارات وانتقادات عروضيّة على وفق مذهب الخليل^{١٧}.

ليس غريباً، إذاً، أن يقول عنه الكلاعي^{١٨}: "وكان... شهاب فهم، وعلم علم. احتوى من المعارف على فنون... إن شئت.. اللغة فموقوفة عليه، أو الأدب فمنسوب إليه، أو النحو فمن سيبويه أو العروض فرحم الله ابن أحمد..."

الطريف أنّه وظف معرفته العروضية في ما أمطر به "عزيز الدولة" من سخرية ملغزة أغمض وأعمق من سخرية الجاحظ بمن دعاه "أحمد بن عبد الوهاب" في رسالة **التربيع والتدوير** مستغلاً ما نمي إليه من أن الوالي كان ينظر في "عروض الخليل" غافلاً عن مشاهد الروع والفزع من غزو رومي متوقع لحلب. ولقد تملكه العجب، فقال على لسان ثعالة^{١٩}: "الملوك قد شغلوا عن الفروض، فما بال النظر في العروض؟" ثم قال^{٢٠}: "ولو نزل خميسهم^{٢١} بحيث يظن المرجفون، وهو وافر كامل، لرأيت الطويل العاثر مديداً فيهم، والخفيف المقبوض بسيطاً إليهم، فكثير المتقارب عند ذلك بينهم، وسمعوا الهزج والرّجز، فعجزوا عن الرّمل والمضارع له في تلك الساعة، وكان السريع والمنسرح عندهم محمودين. وظلّ جيشهم مجتثاً وعميدهم مقتضباً، واستغنى بما أخذ منهم الخليل، وحمل جهازهم على العروض، وكثر فيهم المقيد وقلّ المطلق" ثم أنطقه بأن "هذه الألفاظ ألغزتها عن أجناس الشعر التي رتبها الخليل" وجعله بما أوتي هو نفسه من سعة في اللغة يفسّر ما عناه بكلّ منها: فالطويل هو

١١. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٣، ص. ١٤٦، وابن العديم، الإنصاف والتحري عن أبي العلاء المعري، في المعري، تعريف القدماء بأبي العلاء، ص. ٥٢٧.

١٢. إنباه الرواة في المعري، تعريف القدماء بأبي العلاء، ص. ٤٤، ٤٩، حيث ذكره بعنوان جامع الأوزان الخمسة، و ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٣، ص. ١٥٤، وابن العديم، الإنصاف والتحري في المعري، تعريف القدماء بأبي العلاء، ص. ٥٣٧.

١٣. الذهبي، تاريخ الإسلام والصفدي الوافي بالوفيات في المعري، تعريف القدماء بأبي العلاء، ص. ٢٠٢، ٢٧٤ على التوالي

١٤. الصفدي وابن العديم في المعري، تعريف القدماء بأبي العلاء، ص. ٢٧٥ و ٥٤٠ على التوالي ومعجم الأدباء، ٣، ص. ١٦٢.

١٥. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٣، ص. ١٥٠.

١٦. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٣، ص. ١٦٣.

١٧. انظر مثلاً عبث الوليد (في الكلام على شعر أبي عبادة الوليد بن عبید البحتري)، ص. ٣٠، ١٨٣، ٣٠٦.

١٨. لإحكام صنعة الكلام، في المعري، تعريف القدماء بأبي العلاء، ص. ٤٤٧.

١٩. المعري، رسالة الصاهل والشاحج، ص. ٧٠٦.

٢٠. المعري، رسالة الصاهل والشاحج، ص. ٥٤٧-٥٥٠.

٢١. الخميس: الجيش

لم يذكر فيه شيئاً من ذاك الزعم^٦. ناهيك بالأخبار التي تذهب إلى أن الخليل كان يعرف المتدارك، ونظم عليه قصيدتين^٧، الأولى على فَعْلَن فَعْلَن التي منها:

سُئِلُوا فَأَبَوْا فَلَقَدْ بَخِلُوا فَلَيْسَ لَعَمْرُكَ مَا فَعَلُوا
أَبْكَيْتَ عَلَى طَلَلٍ طَرَباً فَشَجَاكَ وَأَحْزَنَكَ الطَّلَلُ

والأخرى على فَعْلَن فَعْلَن التي منها:

هَذَا عَمَرُو يَسْتَعْفِي مِنْ زَيْدٍ عِنْدَ الْفَضْلِ الْقَاضِي
فَانْهَوْا عَمراً إِنِّي أَخْشَى صَوْلَ اللَّيْثِ الْعَادِي الْمَاضِي
لَيْسَ الْمَرْءُ الْحَامِي أَنْفأَ مِثْلَ الْمَرْءِ الضَّيْمِ الرَّاضِي

غير أنه، في ما يبدو، أهمله ولم يعره مزيد اهتمام.

—٢—

أبو العلاء واحد ممن عُنُوا بالخليل في النحو واللغة والعروض عنايةً تتبعيةً دقيقةً متأتيةً من اهتمامه هو نفسه، وهو الشاعر أيضاً، بهذه العلوم الثلاثة، فضلاً عن إعجابه بالخليل والثناء عليه ومدحه، كما في قوله من قصيدة في رثاء أبي إبراهيم العلوي^٨:

إِذَا قِيلَ نُسْكُ فَالْخَلِيلُ بْنُ آزَرَ وَإِنْ قِيلَ فَهَمْ فَالْخَلِيلُ أَخُو الْفَهْمِ

وكان يستشهد بآرائه ومذهبه في النحو واللغة^٩ وينقل عنه بعض أقواله وحكاياته^{١٠}.

—٣—

فأمّا العروض، فقد كان المعري راغباً فيه متابعاً لما قننه سابقوه، وذا باع طويل في مصطلحاته وشعبه وشعبه. ولقد خلف فيه آثاراً بعضها وصل إلينا، وبعضها لما يصل. فمما وصل ما هو مبثوث

٦. انظر احتمالات سيد البحراوي في الموضوع في مقدّمة تحقيقه، ص. ١٠، والعلمي، العروض والقافية، ص. ١٩٧ ومصادره.
٧. أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص. ٥٩. يبدو أنه لم يبق من القصيدتين سوى الأبيات التي ذكرت. فقد عدت إلى مجموعتين ما زالا مخطوطتين لشعر الخليل بن أحمد أحدهما لليلى العمري والآخر لسعود محمود عبد الجابر اللذين شاركا بهما في ندوة الخليل الدولية في جامعة آل البيت بالفرق (٢٣-٢٥ / ٢٠٠٦/٧) ولم أجد فيهما من زيادة في المصادر الأخرى التي رجعا إليها.

٨. شروح سقط الزند، ٣، ص. ٩٦٦.

٩. المعري، رسالة الغفران، ص. ٢١٧، ٢٤٥، ٢٨١، ورسالة الملائكة، ص. ١٨، ٣٧، ٧١، ١٠٩، ١٥٢، ١٧٧، ٢٦٦.

١٠. المعري، رسالة الملائكة، ص. ٥٠١.

أبو العلاء المعريّ والخليل بن أحمد

الدكتور يوسف بكار

جامعة اليرموك - إربد (الأردن)

- ١ -

فلا مندوحة من أن ينبّه، بدءاً، على مسألتين رئيسيتين مهمتين:
الأولى، أن الخليل حين وضع العروض واستنبط قوانينه اعتمد الشعر القديم حتّى عصره هو، أي شعر ثلاثة قرون أو تزيد قليلاً. وليس في مُكنة فرد واحد مهما أُتي من الذكاء والحصافة والطاقة وبذل الجهد أن يستقصيه كلّهُ أو جلّه، وهو ما يُفضي إلى غيبة بعض المظاهر والملاحظ والقواعد العروضيّة. وقد يكون هذا عينه السبب في ما استُدرِك على الخليل قديماً وحديثاً^١. ألم يقل ابن رشيق "ثم ألف الناس بعده، واختلفوا على مقادير استنباطهم"^٢؟.

والأخرى، أن كتاب الخليل في العروض ما زال مفقوداً، ولم يكن من سبيل إليه سوى ما نقله عنه كثيرون ممن أتوا بعده. والنقّلة يتفاوتون، عادةً، في ما ينقلون على وَفْق ما تملّيه عليهم مذاهبهم واحتياجاتهم. وقد يكون ثمة مسائل في ما وصل إلينا من عروضه ما زال يُعوّزها الوضوح والتعليل والتفسير؛ من مثل تعريفه المشهور للقافية الذي انفرد به عن غيره من العروضيين، والأسباب الشكليّة لتسمية البحور^٣ وما نُسب إليه من أنه لم يعرف بحر "المتدارك" أو "يذكره"^٤ حتّى قيل إن الأخفش هو الذي تداركه عليه. بيد أن هذه المسألة قد انتفتت، تقريباً، بظهور كتاب العروض^٥ للأخفش الذي

١. راجع مثلاً: العلمي، العروض والقافية، ص. ١٨٩-٣١٤.

٢. ابن رشيق، كتاب العمدة، ١، ص. ١٣٥.

٣. ابن رشيق، كتاب العمدة، ١، ص. ١٣٥.

٤. ابن خلكان، وفیات الأعيان، ١، ص. ٢٤٤.

٥. ظهرت -إلى الآن- نشرتان من الكتاب: الأولى من تحقيق أحمد عبد الدايم (دار الفيصلية، مكة المكرمة، ١٩٨٥) والأخرى من تحقيق سيد البحرأوي (دار الشرقيات، القاهرة، ١٩٩٨) التي فيها زيادات على ما نشرته الأولى في مجلة فصول القاهرية (المجلد السادس، العدد الثاني، آذار ١٩٨٦).